من غزوات الرسول

غَزْوَةُ أُحُد

تصميم : عبدالله خلف

تأليف : حازم عفيفى

مؤسسة دار التوحيد للنشر والتوزيع

من غزوات الرسول

غَزْوَةُ أُحُدٍ

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

عفيفي: حازم

من غزوات الرسول : غزوة أحد \ تأليف حازم عفيفي

: رسوم عبدالله خلف - القاهرة : مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع . ٢٠١٩

٣٢ ص : ٢٣ سم - (من غزوات الرسول)

تدمك ٩-٠٢-٦٧٤٧-٩٧٧-٩٧٨

١- غزوة أحد

٢- السيرة النبوية عصر الجهاد فى سبيل نشر الدعوة

أ- خلف , عبدالله (رسام)

ب- العنوان

٢٥٦

رقم الإيداع : ١٤٤٣٨ / ٢٠١٩

كَانَ الْمُشْرِكُونَ بِمَكَّةَ يَحْتَرِقُونَ غَيْظًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ، لَمْ يَنْسُوا هَزِيمَتَهُمْ فِيهَا، وَقُتِلَ كِبَارُ الْقَوْمِ مِنْهُمْ وَكَانُوا سَبْعِينَ، وَأُسِرَ سَبْعُونَ مِثْلُهُمْ.

وَحَرَّكَتْهُمُ الرَّغْبَةُ فِي الثَّأْرِ وَالانْتِقَامِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى ضَرُورَةِ شَنِّ حَرْبٍ شَامِلَةٍ عَلَى الْمَدِينَةِ، تَرُدُّ لَهُمْ هَيْبَتَهُمْ أَمَامَ قَبَائِلِ الْعَرَبِ، فَاتَّفَقُوا عَلَى تَجْهِيزِ جَيْشٍ كَبِيرٍ مِنَ مَالِ الْقَافِلَةِ الَّتِي نَجَا بِهَا أَبُو سُفْيَانَ، وَكَانَتْ سَبَبًا فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ، وَكَانَتْ الْقَافِلَةُ مُكَوَّنَةً مِنْ أَلْفِ بَعِيرٍ، وَتِجَارَةٍ قِيمَتُهَا خَمْسُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ذَهَبِيٍّ.

وَاسْتَعَدَّ جَيْشُ مَكَّةَ بِثَلَاثَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَحُلَفَائِهَا، وَكَانَ الْجَيْشُ مُكَوَّنًا مِنْ مِائَتَيْ فَرَسٍ، وَسَبْعِمَائَةِ دِرْعٍ، وَثَلَاثَةِ آلَافِ بَعِيرٍ، وَجَعَلُوا عَلَى الْقِيَادَةِ الْعَامَّةِ أَبَا سُفْيَانِ بْنِ حَرْبٍ، وَعَلَى قِيَادَةِ الْفِرْسَانِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، يُعَاوِنُهُ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَيَحْمِلُ لِوَاءَ الْجَيْشِ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ، وَتَحَرَّكَ الْجَيْشُ يُرِيدُ غَزْوَ الْمَدِينَةِ.

وَأَرْسَـلَ الْعَبَّاسُ عَمُّ النَّبِيِّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِرِسَـالَةٍ سَرِيعَةٍ إِلَى النَّبِيِّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَكَانَ يَكْتُمُ إِسْلاَمَهُ بِمَكَّةَ- يُخْبِرُهُ بِتَحَرُّكِ جَيْشِ مَكَّةَ لِحَرْبِ الْمُسْلِمِينَ.

وَوَصَلَتْ الرِّسَـالَةُ إِلَى رَسُولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى وَجْهِ السُّرْعَةِ، فَشَكَّلَ مَجْمُوعَاتٍ مِنْ شَبَابِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَفَتْ بِالسِّلاَحِ عَلَى مَدَاخِلِ الْمَدِينَةِ وَجَوَانِبِهَا الْمُخْتَلِفَةِ لِحِرَاسَتِهَا، حَتَّى لاَ يُفَاجِئَهَـا الْمُشْرِكُونَ بِالْهُجُومِ، وَقَامَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِحِرَاسَـةِ رَسُـولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، كَانُوا يَبِيتُون عَلَى بَابِهِ، وَعَلَيْهِمْ الدُّرُوعُ، وَفِي أَيْدِيهِمْ السِّلاَحُ.

وَأَعْلَنَ الرَّسُـولُ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الاسْـتِعْدَادَ لِلْحَرْبِ، فَكَانَ رِجَالُ الْمُسْلِمِينَ لاَ يَضَعُونَ سِلاَحَهُمْ حَتَّى وَهُمْ فِي الصَّلاَةِ، وَأَطْلَقَ الرَّسُولُ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دَوْرِيَّاتِ اسْتِطْلاَعٍ لِلْتَعَرُّفِ عَلَى أَخْبَارِ جَيْشِ مَكَّةَ، بَيْنَمَا وَاصَلَ جَيْشُ مَكَّةَ التَّقَدُّمَ حَتَّى نَزَلَ قُرْبَ جَبَلِ أُحُدٍ شَـمَالِيّ الْمَدِينَةِ، فَعَسْكَرُوا هُنَاكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ السَّادِسِ مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ عَامَ ٣هـ.

وَجَمَعَ الرَّسُولُ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كِبَارَ الصَّحَابَةِ لِيَسْتَشِيرَهُمْ فِي أَمْرِ الْحَرْبِ الَّتِي أَصْبَحَتْ قَرِيبَةً.

وَقَصَّ عَلَيهِمْ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رُؤْيَا رَآهَا، فَكَانَ قَدْ رَأَى بَقَرًا كَثِيرًا يُذْبَحُ، وَرَأَى فِي سَيْفِهِ شِقًّا، وَرَأَى أَنَّهُ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ.

وَفَسَّرَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الرُّؤْيَا بِمُسْلِمِينَ يُرْزَقُونَ الشَّهَادَةَ، وَاسْتِشْهَادِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَأَنَّ الدِّرْعَ الْحَصِينَةَ فِي الرُّؤْيَا هِيَ الْمَدِينَةُ.

لِذَلِـكَ كَانَ مِنْ رَأْيِ الرَّسُـولِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ- أَنْ يَتَحَصَّنَ الْمُسْـلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ، وَلاَ يُقَاتِلُونَ الْعَدُوَّ خَارِجَهَا، فَإِذَا دَخَلَ الْمُشْرِكُونَ الْمَدِينَةَ قَاتَلَهُمْ رِجَالُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَفْوَاهِ السِّكَكِ وَالطُّرُقَاتِ، وَالنِّسَاءُ مِنْ فَوْقِ أَسْطُحِ الْبُيُوتِ.

وَأَشَـارَ جَمَاعَةٌ مِنْ فُضَلاَءِ الصَّحَابَةِ بِرَغْبَتِهِمْ فِي الْخُرُوجِ لِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَأَلَحُّوا فِي طَلَبِهِمْ، حَتَّى لاَ يَظُنَّ بِهِمْ الْمُشْرِكُونَ أَنَّهُمْ جَبُنُوا عَنْ مُوَاجَهَتِهِمْ، وَأَمَامَ حَمَاسِـهِمْ وَتَصْمِيمِهِمْ وَافَقَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى هَذَا الرَّأْيِ وَاسْتَحْسَنَهُ.

وَبَعْد أَنْ ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى بَيْتِهِ وَتَرَكَ أَصْحَابَهُ، نَدِمَ الَّذِينَ أَشَارُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْخُرُوجِ، وَخَافُوا أَنْ يَكُونُوا عَصَوْا رَسُولَ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَخَالَفُوا أَمْرَهُ، وَأَكْرَهُوهُ عَلَى مَا لاَ يُحِبُّ.

ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعَلَيْهِ عُدَّةُ الْحَرْبِ مِنَ الدُّرُوعِ وَالسِّلاَحِ، فَاعْتَذَرُوا لَهُ أَلاَّ يَكُونُوا قَدْ خَالَفُوهُ رَأْيَهُ فِي تَحَصُّنِ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَدِينَةِ وَعَدَمِ خُرُوجِهِمْ لِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ خَارِجَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

- مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ دُرُوعَ الْحَرْبِ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ.

وَبِذَلِكَ عَزَمَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَأَصْحَابُهُ عَلَى الْخُرُوجِ لِلِقَاءِ الْعَدُوِّ خَارِجَ الْمَدِينَةِ.

وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي أَلْفٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَقَسَّمَ جَيْشَهُ إِلَى ثَلاَثِ كَتَائِبَ: كَتِيبَةِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَعْطَى لِوَاءَهَا لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ، وَكَتِيبَةِ الأَوْسِ، وَأَعْطَى لِوَاءَهَا لأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ، وَكَتِيبَةِ الْخَزْرَجِ، وَأَعْطَى لِوَاءَهَا لِلْحُبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، وَاسْتَخْلَفَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى الْمَدِينَةِ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ .

وَوَقَفَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَسْتَعْرِضُ جَيْشَهُ، فَرَدَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ لِصِغَرِ سِنِّهِمْ، مِنْهُمْ: عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، بَيْنَمَا سَمَحَ لِرَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ أَنْ يُشَارِكَ رَغْمَ صِغَرِ سِنِّهِ؛ لأَنَّهُ كَانَ مَاهِرًا فِي الرَّمْيِ، فَلَمَّا رَأَى سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبَ ذَلِكَ أَلَحَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الْمُشَارَكَةِ، وَقَالَ:

- يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا أَقْوَى مِنْ رَافِعٍ!

وَطَلَبَ مِنْ رَسُولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يُشَاهِدَ مُصَارَعَتَهُ مَعَ رَافِعٍ، فَلَمَّا غَلَبَهُ سَمَحَ لَهُمَا النَّبِيِّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْمُشَارَكَةِ فِي الْقِتَالِ.

وَتَحَرَّكَ الْجَيْشُ الإِسْلاَمِيُّ حَتَّى أَصْبَحَ يَرَى جَيْشَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْبُعْدِ وَجَيْشُ الْمُشْرِكِينَ يَرَاهُ، وَهُنَا تَمَرَّدَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ سَلُولٍ، وَقَالَ:

- لاَ أَعْلَمُ لِمَاذَا نَقْتُلُ أَنْفُسَنَا؟!

وَرَفَضَ الْخُرُوجَ لِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ خَارِجَ أَسْوَارِ الْمَدِينَةِ،

وَانْسَحَبَ مِنَ الْجَيْشِ، وَانْسَحَبَ مَعَهُ ثَلاثُمِائَةٌ مُنَافِقٍ!

كَانَ هَذَا الْمُنَافِقُ يُرِيدُ بِالانْسِحَابِ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ أَنْ يُسَبِّبَ الانْهِيَارَ لِمَعْنَوِيَّاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَهُمْ يَرَوْنَ قِلَّةَ عَدَدِهِمْ وَكَثْرَةَ أَعْدَادِ عَدُوِّهِمْ، وَخَرَجَ لَهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ حَرَامٍ الأَنْصَارِيِّ ، فَحَاوَلَ أَنْ يُذَكِّرَهُمْ بِاللهِ، وَنَصَحَهُمْ بِالْعَوْدَةِ إِلَى صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ، وَحَذَّرَهُمْ مِنْ غَضَبِ اللهِ تَعَالَى وَغَضَبِ رَسُولِهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَسَاءَ ابْنُ سَلُولٍ وَالْمُنَافِقِينَ لَهُ الْقَوْلَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ حَرَامٍ الأَنْصَارِيِّ :

- أَبْعَدَكُمُ اللهُ أَعْدَاءَ اللهِ، سَيُغْنِي اللهُ عَنْكُمْ نَبِيَّهُ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَتَحَرَّكَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ أَنْ فَقَدَ ثُلُثَ عَدَدِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي مَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ تَخَلَّصُوا مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا سَيُسَبِّبُونَ ضَرَرًا شَدِيدًا لِلْجَيْشِ الإِسْلاَمِيِّ إِنْ هُمْ شَارَكُوا فِي الْحَرْبِ.

وَسَلَكَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- طَرِيقًا مُخْتَصَرًا بَعِيدًا عَنْ جَيْشِ مَكَّةَ الْكَبِيرِ الَّذِي كَانَ يَمْلأُ الْمَكَانَ.

وَنَزَلَ الْجَيْشُ الإِسْلاَمِيُّ إِلَى أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ، فَجَعَلُوا جَبَلَ أُحُدٍ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ، حَتَّى لاَ يَأْتِيَهُمْ جَيْشُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ خَلْفِهِمْ.

وَاخْتَارَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هَضَبَةً مُشْرِفَةً عَلَى مَيْدَانِ الْقِتَالِ، وَجَعَلَ عَلَيْهَا خَمْسِينَ مِنْ أَمْهَرِ الرُّمَاةِ، وَعَيَّنَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ بْنَ جُبَيْرٍ الأَنْصَارِيَّ قَائِدًا لَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَرْمُوا خَيْلَ الْمُشْرِكِينَ بِالسِّهَامِ حَتَّى لاَ يُهَاجِمُوا الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْخَلْفِ.

وَشَدَّدَ عَلَيْهِمُ الأَمْرَ أَلاَّ يَتْرُكُوا أَمَاكِنَهُمْ مَهْمَا كَانَتْ نَتَائِجُ الْمَعْرَكَةِ،

حَتَّى يُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَيَأْمُرُهُمْ بِتَرْكِ أَمَاكِنِهِمْ، وَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَيْهِمْ مَسْئُولِيَّةً كَبِيرَةً، فَوَعَدَهُ قَائِدُ الرُّمَاةِ أَلاَّ يَتْرُكَ هُوَ وَرِجَالُهُ أَمَاكِنَهُمْ حَتَّى يَذُوقُوا الْمَوْتَ!

وَعَبَّأَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَيْشَهُ، فَجَعَلَ عَلَى الْمَيْمَنَةِ الْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرٍو الأَنْصَارِيّ، وَعَلَى الْمَيْسَرَةِ فَارِسًا يَوْمَ بَدْرٍ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ، وَالْمِقْدَادَ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وَكَانَتْ مُهِمَّةُ الْمَيْسَرَةِ صَعْبَةً، وَهِيَ التَّصَدِّي لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَارِسِ الْمُشْرِكِينَ الْعَنِيدِ وَفِرْسَانِهِ،

وَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي مُقَدِّمَةِ الصُّفُوفِ خِيرَةَ شُجْعَانِ الْمُسْلِمِينَ وَأَبْطَالِهِمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَحَمْزَةَ، وَعَلِيٍّ، وَمُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ، وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ جَحْشٍ، وَزَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، وَغَيْرَهُمْ ، وَمِنَ الأَنْصَارِ أَبْطَالاً، مِثْلَ: سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، وَأَبِي طَلْحَةَ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ حَرَامٍ، وَأَبِي دُجَانَةَ، وَأَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيّ، وَغَيْرِهِمْ .

وَقَبْلَ الْمَعْرَكَةِ حَاوَلَ أَبُو سُفْيَانَ زَعِيمُ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُوقِعَ الْخِلاَفَ فِي صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ مُخَاطِبًا الأَنْصَارَ:

- لاَ حَاجَةَ لَنَا إِلَى قِتَالِكُمْ، فَاتْرُكُوا لَنَا مُحَمَّدًا وَنَنْصَرِفَ عَنْكُمْ.

فَرَدَّ عَلَيْهِ الأَنْصَارُ رَدًّا عَنِيفًا وَأَسْمَعُوهُ مَا يَكْرَهُ، فَهُمْ لَنْ يَتَخَلَّوْا عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَوْ مَاتُوا جَمِيعًا!

ثُمَّ خَرَجَ أَبُو عَامِرٍ الرَّاهِبِ، وَكَانَ مِنْ سَادَةِ الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى الْمَدِينَةِ مُهَاجِرًا حَقَدَ عَلَيْهِ، وَأَظْهَرَ لَهُ الْعَدَاوَةَ، وَانْتَقَلَ لِيَعِيشَ بِمَكَّةَ، ثُمَّ حَرَّضَهُمْ عَلَى قِتَالِهِ، فَسَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْفَاسِقِ، وَخَاطَبَ أَبُو عَامِرٍ قَوْمَهُ يُعَرِّفُهُمْ بِنَفْسِهِ:

- يَا مَعْشَرَ الأَوْسِ، أَنَا أَبُو عَامِرٍ!

فَقَالُوا:

- لاَ أَنْعَمَ اللهُ بِكَ يَا فَاسِقُ!

فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ وَهُوَ يَسُبُّهُمْ، وَلَمَّا بَدَأَ الْقِتَالُ قَاتَلَ قِتَالاً شَدِيدًا وَقَذَفَهُمْ بِالْحِجَارَةِ، وَحَفَرَ حُفَرًا لِلْمُسْلِمِينَ.

وَفِي صَبَاحِ يَوْمِ السَّبْتِ السَّابِعِ مِنْ شَوَّالَ عَامَ ٣ هـ وَقَعَتْ غَزْوَةُ أُحُدٍ،

وَوَقَفَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُحَمِّسُ الْمُسْلِمِينَ وَيُشَجِّعُهُمْ، فَأَمْسَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ سَيْفًا شَدِيدًا، وَقَالَ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

- مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟

فَقَامَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَطْلُبُونَ سَيْفَ رَسُولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، مِنْهُمْ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ .

وَقَامَ أَبُو دُجَانَةَ الأَنْصَارِيُّ ، وَقَالَ:

- وَمَا حَقُّهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

- أَنْ تَضْرِبَ بِهِ وُجُوهَ الْعَدُوِّ حَتَّى يَنْحَنِيَ.

فَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ :

- يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ.

فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- السَّيْفَ، وَكَانَ أَبُو دُجَانَةَ لاَ مَثِيلَ لِشَجَاعَتِهِ فِي الْحُرُوبِ، فَأَخْرَجَ عِصَابَةً حَمْرَاءَ رَبَطَ بِهَا رَأْسَهُ، فَقَالَتْ الأَنْصَارُ:

_ أَخْرَجَ أَبُو دُجَانَةَ عِصَابَةَ الْمَوْتِ!

وَكَانَ إِذَا عَصَبَ رَأْسَهُ بِهَا عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ سَيُقَاتِلُ حَتَّى الْمَوْتِ، ثُمَّ أَخَذَ يَمْشِي أَمَامَ أَعْيُنِ الْكَافِرِينَ مُتَفَاخِرًا مُخْتَالاً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

- هَذِهِ مِشْيَةٌ يَكْرَهُهَا اللهُ إِلاَّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

وَبَدَأَ الْقِتَالُ فَخَرَجَ حَامِلُ لِوَاءِ جَيْشِ الْمُشْرِكِينَ طَلْحَةُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، أَشْجَعُ فِرْسَانِ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ كَبْشَ الْكَتِيبَةِ، وَكَانَ رَاكِبًا عَلَى جَمَلٍ وَفِي يَدِهِ حَرْبَةٌ طَوِيلَةٌ يُقَاتِلُ بِهَا فِي مَهَارَةٍ وَسُرْعَةٍ.

فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ الزُّبَيْرُ فَوَثَبَ إِلَيْهِ، فَكَانَ مَعَهُ فَوْقَ جَمَلِهِ، وَسَقَطَ بِهِ عَلَى الأَرْضِ وَقَتَلَهُ، فَكَبَّرَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

- إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَإِنَّ حَوَارِيِّ هُوَ الزُّبَيْرُ.

وَحَمَلَ لِوَاءَ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَهُ أَخُوهُ فَقَتَلَهُ حَمْزَةُ ، ثُمَّ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ آخَرُ فَقَتَلَهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، ثُمَّ غَيَّرَهُ فَقَتَلَهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ ، ثُمّ آخَرُ فَقَتَلَهُ الزُّبيرُ ، ثُمَّ آخَرُ قَتَلَهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، ثُمَّ آخَرُ قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَهَكَذَا، كُلّ مَنْ يَحْمِلُ لِوَاءَ الْمُشْرِكِينَ يُقْتَلُ حَتَّى سَقَطَ لِوَاؤُهُمْ عَلَى التُّرَابِ لَمْ يَحْمِلْهُ أَحَدٌ.

وَظَهَرَتْ بُطُولَةُ أَبِي دُجَانَةَ ذِي الْعِصَابَةِ الْحَمْرَاءِ، وَصَاحِبِ سَيْفِ رَسُولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَمَا وَجَدَ أَحَدًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلاَّ قَتَلَهُ بِهَذَا السَّيْفِ، وَأَثْنَاءَ قِتَالِهِ رَأَى أَحَدَ جُنْدِ الْمُشْرِكِينَ يَقْتُلُ جَرْحَى الْمُسْلِمِينَ، فَرَفَعَ السَّيْفَ عَلَى رَأْسِهِ لِيَقْتُلَهُ، فَصَرَخَ وَوَلْوَلَ، عَلِمَ أَنَّهَا هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ كَانَتْ تَلْبَسُ لبْسَ الْفِرْسَانِ، فَلَمْ يَقْتُلْهَا، وَقَالَ :

- أَكْرَمتُ سَيْفَ رَسُولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ أَضْرِبَ بِهِ امْرَأَةً!

وَوَصَلَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى قَلْبِ جَيْشِ الْمُشْرِكِينَ بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ، فَكَادَ حَنْظَلَةُ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ أَنْ يُقْتَلَ قَائِدَ جَيْشِ مَكَّةَ أَبَا سُفْيَانَ، وَوَضَعَ السَّيْفَ عَلَى رَأْسِهِ لِيَذْبَحَهُ فَطَعَنَهُ أَحَدُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْخَلْفِ، فَسَقَطَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- شَهِيدًا.

وَكَانَ حَمْزَةُ أَعْظَمَ أَبْطَالِ الْمُسْلِمِينَ وَسَطَ الْمَعْرَكَةِ كَالأَسَدِ يُقَاتِلُ بِسَيْفَيْنِ، يَقْتُلُ كُلَّ مَنْ يَلْقَاهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ وَحْشِيٌّ عَبْدًا حَبَشِيًّا حَرَّضَهُ سَيِّدُهُ عَلَى قَتْلِ حَمْزَةَ وَوَعَدَهُ أَنْ يَعْتِقَهُ إِنْ هُوَ قَتَلَهُ، كَمَا أَغْرَتْهُ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ بِالذَّهَبِ وَالْمَالِ إِنْ هُوَ قَتَلَ حَمْزَةَ ثَأْرًا لِقَتْلِهِ ابْنَهَا، وَأَبِيهَا، وَأَخِيهَا يَوْمَ بَدْرٍ.

وَاخْتَبَأَ وَحْشِيٌّ خَلْفَ صَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ يُرَاقِبُ حَمْزَةَ الَّذِي كَانَ مَشْغُولاً بِالْقِتَالِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَرِيبًا مِنْهُ قَذَفَهُ وَحْشِيٌّ بِالْحَرْبَةِ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى سَيِّدِهِ فِي مُعَسْكَرِ الْمُشْرِكِينَ فَجَلَسَ هُنَاكَ.

كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ السَّيْطَرَةُ الْكَامِلَةُ عَلَى الْمَعْرَكَةِ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يُوَاجِهُوا أَبْطَالَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ فِرْسَانُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ أَنْ يَشْتَبِكُوا بِجَيْشِ الْمُسْلِمِينَ، وَلاَ يُشَارِكُوا فِي الْمَعْرَكَةِ؛ بِسَبَبِ مَهَارَةِ الرُّمَاةِ الَّذِينَ أَصَابُوهُمْ بِالسِّهَامِ إِصَابَاتٍ شَدِيدَةٍ، فَكَانَتْ كُلُّ مُحَاوَلَةٍ مِنْهُمْ يَصُدُّهَا الرُّمَاةُ بِبَرَاعَةٍ.

وَأَيْقَنَ الْمُشْرِكُونَ بِالْهَزِيمَةِ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ أَلْحَقُوا الْيَوْمَ بِهِمْ هَزِيمَةً لاَ تَقِلُّ عَنْ هَزِيمَةِ يَوْمَ بَدْرٍ، فَفَرُّوا هَارِبِينَ يَتْبَعُهُمُ الْمُسْلِمُونَ قَتْلاً وَأَسْرًا.

وَوَقَعَ رُمَاةُ الْمُسْلِمِينَ فِي غَلْطَةٍ فَظِيعَةٍ، فَلَمَّا رَأَوْا الْمُسْلِمِينَ يَجْمَعُونَ الْغَنَائِمَ غَادَرُوا أَمَاكِنَهُمْ لِيَأْخُذُوا نَصِيبَهُمْ مِنْهَا!

حَاوَلَ أَمِيرُهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ جُبَيْرٍ أَنْ يَنْهَاهُمْ عَنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَيُحَذِّرَهُمْ، لَكِنَّهُمْ عَصَوْا الأَمْرَ وَنَزَلُوا عَنْ الْجَبَلِ، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى كَلاَمِهِ، وَبَقِيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جُبَيْرٍ فِي عَشَرَةٍ فَقَطْ مَنَ الرُّمَاةِ صَمَّمُوا عَلَى تَنْفِيذِ أَمْرِ النَّبِيِّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَوْ ذَاقُوا الْمَوْتَ.

كَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَائِدَ فِرْسَانِ الْمُشْرِكِينَ يُرَاقِبُ الْوَضْعَ الْجَدِيدَ فَصَعَدَ الْجَبَلَ بِسُرْعَةٍ يَتْبَعُهُ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَفِرْسَانُ الْمُشْرِكِينَ، فَقَاتَلَهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ جُبَيْرٍ وَالرُّمَاةُ الْعَشَرَةُ الَّذِينَ ثَبَتُوا مَعَهُ بِكُلِّ شَجَاعَةٍ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا الصُّمُودَ أَمَامَ مِائَتَيْ فَارِسٍ يَقُودُهُمْ خَالِدٌ وَعِكْرِمَةُ فَارِسَا قُرَيْشٍ الْعَنِيدَانِ، وَاسْتُشْهِدَ الرُّمَاةُ الْعَشَرَةُ، قُتِلُوا قَتْلَاتٍ شَنِيعَةٍ، وَشَوَّهَ الْمُشْرِكُونَ أَجْسَادَهُمْ بِوَحْشِيَّةٍ!

وَصَرَخَ خَالِـدُ بْـنُ الْوَلِيدِ صَرْخَةً عَظِيمَةً نَادَاهُـمْ بِهَا، فَعَادَ جَيْشُ الْمُشْرِكِـينَ الْمُنْهَزِمُ إِلَى الْقِتَالِ، وَحُـصِرَ الْمُسْـلِمُونَ مِنَ الأَمَـامِ وَالْخَلْفِ، فَكَانَ فِرْسَـانُ الْمُشْرِكِينَ يَقْتُلُونَ مِنَ الْمُسْـلِمِينَ كُلَّ مَنْ صَادَفُوهُ، وَأَصَابَتْ الْمُسْلِمِينَ رَبْكَةٌ شَدِيدَةٌ حَتَّى قَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْخَطَأ!

وَظَهَرَتْ شَـجَاعَةُ رَسُولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ-، الَّذِي وَقَفَ فِي وَسَطِ مَيْدَانِ الْقِتَالِ يُنَادِي الْمُسْلِمِينَ لِيَجْتَمِعُوا مِنْ حَوْلِهِ، لَكِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ، فَقَصَدُوا رَسُولَ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ- كُلٌّ يُرِيدُ قَتْلَهُ، فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى شُـجَّتْ رَأْسُـهُ الشَّرِيفُ، وَكُسِرَتْ إِحْدَى أَسْنَانِهِ الأَمَامِيَّةِ، وَجُرِحَتْ شَـفَتُهُ السُّـفْلَى، وَسَـقَطَ فِي حُفْرَةٍ حَفَرَهَا عَدُوُّ اللهِ أَبُو عَامِرٍ الْفَاسِقِ، فَجُرِحَتْ رُكْبَتُهُ، وَأُصِيبَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِصَابَاتٍ شَدِيدَةٍ، فَقَالَ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

- اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ أَدْمَوْا وَجْهَ رَسُولِ اللهِ.

ثُمَّ دَعَا لَهُمْ بِالْهِدَايَةِ، رَغْمَ مَا أَصَابَهُ مِنْ إِيذَاءٍ عَلَى أَيدِيهِمْ، قَالَ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

- اللَّهُمّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ.

وَكَانَ حَوْلَ النَّبِيِّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ- تِسْـعَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ يَسْـتَمِيتُونَ فِي الدِّفَاعِ عَنْهُ، قَتَلُوا الْوَاحِدَ بَعْدَ الآخَرِ، وَوَقَفَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَحْدَهُمَا مَعَ النَّبِيِّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ- فَدَافَعَا عَنْهُ بِشَرَاسَةٍ لاَ تُوصَفُ كَأَنَّهُمَا جَيْشٌ وَحْدَهُمَا، حَتَّى شُجَّتْ رَأْسُ طَلْحَةَ، وَشُلَّتْ إِصْبَعُهُ، وَأَصَابَهُ الْعَرَجُ، وَجُرِحَ بِضْعَةً وَثَلاَثِينَ جُرْحًا، وَنَثَرَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِسَعْدٍ سِهَامَهُ، وَكَانَ يَقُولُ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

- ارْمِ سَعْدُ! فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي.

وَكَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ مَاهِرًا فِي الرِّمَايَةِ لاَ يُخْطِئُ سَهْمُهُ.

وَأَقْبَلَ فِرْسَـانُ الْمُشْرِكِينَ الْوَاحِدُ بَعْدَ الآخَرِ، كُلٌّ يُرِيدُ قَتْلَ النَّبِيِّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، مِنْهُمْ ابْنُ قَمِئَةَ فَارِسُ الْمُشْرِكِينَ الْعَنِيدُ، فَضَرَبَ رَسُـولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالسَّيْفِ عَلَى كَتِفِهِ، وَكَانَ الرَّسُـولُ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَيْهِ دِرْعُهُ فَلَمْ تُصِبْهُ، وَوَجَدَ وَجَعَهَا بَعْدَ ذَلِكَ شَهْرًا كَامِلاً، وَضَرَبَـهُ عَدُوُّ اللـهِ مِنْ جَدِيدٍ بِالسَّـيْفِ عَلَى خُوذَتِهِ فَكَسَرَهَـا، وَدَخَلَتْ حَلْقَتَـانِ مِنْهَا فِي خَدَّيْهِ الشَّرِيفَيْنِ!

وَكَانَــتْ أُمُّ عِــمَارَةَ الأَنْصَارِيَّةُ رَضِيَ اللــهُ عَنْهَا قَرِيبَةً مِنْهُ، فَلَمَّا رَأَتِ الرَّسُــولَ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَحْدَهُ فِي مُوَاجَهَةِ الْكَافِرِ، رَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَلْقَى لَهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُنْهَزِمِينَ سَــيْفَهُ فَضَرَبَتْ ابْنَ قَمِئَةَ فَلَمْ تُؤَثِّرْ فِيهِ ضَرْبَتُهَا، ثُمَّ ضَرَبَهَا بِسَيْفِهِ فَأَصَابَهَا، لَكِنَّهَا ظَلَّتْ تُقَاتِلُ بِشَجَاعَةٍ كَالرِّجَالِ!

وَجَاءَهُ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فَارِسٌ آخَرُ عَنِيدٌ مِنْ فِرْسَــانِ الْمُشْرِكِينَ، فَضَرَبَ وَجْهَ رَسُــولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الشَّرِيفَ بِحَجَرٍ، فَتَبِعَهُ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ وَقَتَلَهُ.

وَكَانَــتْ هَذِهِ الْمَرْحَلَةُ أَحْرَجَ مَرْحَلَةٍ مِنَ الْمَعْرَكَةِ وَأَخْطَرِهَا عَلَى حَيَاةِ رَسُــولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ-، فَقَاتَلَ الصَّحَابَةُ بِبَسَــالَةٍ لِلدِّفَاعِ عَنْهُ، كَمَا تَوَلَّتْ الْمَلَائِكَةُ حِرَاسَةَ النَّبِيِّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

كَانَ جِبْرِيــلُ وَمِيكَائِيلُ يُقَاتِلَانِ حَوْلَهُ فِي هَيْئَةِ فَارِسَــيْنِ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، وَعَصَمَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَحِينَ أَرَادَ عَبْدُ اللهِ بْنُ شِــهَابٍ الزُّهْرِيّ قَتْلَ النَّبِيِّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ-، وَانْطَلَقَ فِي طَرِيقِهِ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

- لاَ نَجَوْتُ إِنْ نَجَا مُحَمَّدٌ!

فَمَرَّ بِجَانِبِ الرَّسُــولِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَلَمْ يَفْعَلْ لَهُ شَيْئًا وَتَرَكَهُ، وَكَانَ الرَّسُولُ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَحْدَهُ، فَلاَمَهُ أَحَدُ الْمُشْرِكِينَ كَيْفَ يَتْرُكُهُ وَهُوَ وَحْدَهُ، فَقَالَ فَارِسُ الْمُشْرِكِينَ:

- إِنِّي لَمْ أَرَهُ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ مَمْنُوعٌ.

وَقَاتَلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ بِضَرَاوَةٍ، وَدَافَعَ عَنِ الرَّايَةِ حَتَّى قُتِلَ وَهْوَ يَحْتَضِنُهَا، قَتَلَهُ ابْنُ قَمِئَةَ وَهْوَ يَظُنُّ أَنَّهُ قَتَلَ النَّبِيِّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَســلَّمَ؛ لأَنَّ مُصْعَبَ كَانَ يُشْــبِهُ رَسُــولَ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَصَاحَ ابْنُ قَمِئَةَ:

- قَتَلْتُ مُحَمَّدًا!

وَرَفَعَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الرَّايَةَ وَقَاتَلَ بِهَا بَاقِيَ الْيَوْمِ.

وَبَعْدَ أَنْ شَاعَ فِي الْمُسْلِمِينَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ قُتِلَ، وَحَاصَرَهُمْ الْمُشْرِكُونَ مِنْ الأَمَامِ وَالْخَلْفِ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ الْكَثِيرَ، انْهَارَتْ الرُّوحُ الْمَعْنَوِيَّةُ لِبَعْضِ الْمُسْلِمِينَ، فَأَلْقَوْا أَسْلِحَتَهُمْ لاَ يَعْرِفُونَ مَا يَفْعَلُونَ، لَكِنْ أَثْنَاءَ ذَلِكَ ظَهَرَتْ بُطُولَةُ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ لِقَوْمِهِ:

- مَاذَا تَفْعَلُونَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ قُومُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-!

وَاخْتَرَقَ صُفُوفَ الْمُشْرِكِينَ يُقَاتِلُهُمْ حَتَّى قَتَلُوهُ، وَمَلأُوا جَسَدَهُ بِالطَّعَنَاتِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ مَلاَمِحُهُ، فَلَمْ تَعْرِفْهُ إِلاَّ أُخْتُهُ بِعَلاَمَةٍ فِي جَسَدِهِ.

وَفَعَلَ ثَابِتُ بْنُ الدَّحْدَاحِ مِثْلَمَا فَعَلَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ، وَقَالَ:

- يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ قُتِلَ، فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، قَاتِلُوا عَلَى دِينِكُمْ!

وَقَاتَلَ هُوَ وَفِئَةٌ مَعَهُ مِنَ الأَنْصَارِ فِرْسَانَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَقَتَلَهُ خَالِدٌ وَقَتَلَ أَصْحَابَهُ.

وَبِمِثْلِ هَذَا الاسْتِبْسَالِ وَالشَّجَاعَةِ عَادَتْ إِلَى الْمُسْلِمِينَ رُوحُهُمْ الْمَعْنَوِيَّةُ الْعَالِيَةُ، فَقَاتَلُوا جَيْشَ الْمُشْرِكِينَ، وَهُمْ يُحَاوِلُونَ أَنْ يَشُقُّوا لَهُمْ طَرِيقًا إِلَى مَقَرِّ قِيَادَةِ النَّبِيِّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

خَاصَّةً بَعْدَ أَنْ عَلِمُوا أَنَّ خَبَرَ قَتْلِهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ كَذِبًا، فَزَادَهُمْ ذَلِكَ قُوَّةً وَبَدَأُوا الْقِتَالَ مِنْ أَمَاكِنِهِمْ الْجَدِيدَةِ بَعْدَ أَنْ عَدَّلُوا مِنْ أَوْضَاعِهِمْ وَأَفْلَتُوا مِنْ حِصَارِ الْمُشْرِكِينَ.

وَعَرَفَ الْمُسْلِمُونَ مَكَانَ رَسُولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ مَعَهُ إِلاَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وَحْدَهُمَا يُدَافِعَانِ عَنْهُ، فَانْطَلَقُوا إِلَيْهِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعَلِيٌّ، وَالزُّبَيْرُ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ، وَأَبُو دُجَانَةَ، وَأَبُو طَلْحَةَ، وَغَيْرُهُمْ... ثَلاَثُونَ رَجُلاً أَحَاطُوا بِالنَّبِيِّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَدَافَعُوا عَنْهُ بِكُلِّ قُوَّةٍ وَشَجَاعَةٍ.

وَرَغْمَ تَجَمُّعِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَوْلَهُ، إِلاَّ أَنَّ ضَغْطَ الْمُشْرِكِينَ ازْدَادَ، وَاسْتَمَاتَ الصَّحَابَةُ فِي الدِّفَاعِ عَنِ النَّبِيِّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَأَحَاطُوا بِهِ، وَسَقَطَتْ السِّهَامُ عَلَى النَّبِيِّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَأَنَّهَا الْمَطَرُ فَاحْتَضَنَهُ أَبُو دُجَانَةَ، فَسَقَطَتْ السِّهَامُ فِي ظَهْرِهِ حَتَّى أَصْبَحَ ظَهْرُ أَبِي دُجَانَةَ مِثْلَ جَسَدِ الْقُنْفُذِ مِنْ كَثْرَةِ السِّهَامِ وَهُوَ ثَابِتٌ لاَ يَتَحَرَّكُ!

وَجَعَلَ أَبُو قَتَادَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَجْهَهُ أَمَامَ الرَّسُولِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَسَقَطَ سَهْمٌ فِي عَيْنَيْهِ فَسَالَتْ عَيْنُهُ عَلَى خَدِّهِ، فَرَدَّهَا رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَهُ فِي مَكَانِهَا، فَأَصْبَحَتْ أَجْمَلَ عَيْنَيْ أَبِي قَتَادَةَ وَأَحَدَّهُمَا نَظَرًا، فِي مُعْجِزَةٍ لِرَسُولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَوَقَفَ أَبُو طَلْحَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَمَامَ النَّبِيِّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِيَحْمِيَهُ بِصَدْرِهِ، وَنَبِيُّ اللهِ يُعْطِيهِ السِّهَامَ وَيَرْمِي بِهَا، حَتَّى تَكَسَّرَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ثَلاثَةُ أَقْوَاسٍ مِنْ شِدَّةِ الرَّمْيِ.

وَحَاوَلَ فِرْسَانُ الْمُشْرِكِينَ الوُصُولَ إِلَى رَسُولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَتَصَدَّى لَهُمْ أَبْطَالُ الْمُسْلِمِينَ، فَرَدُّوهُمْ جَمِيعًا، وَاسْتَطَاعُوا أَنْ يَنْسَحِبُوا بِرَسُولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى شِقٍّ وَاسِعٍ فِي الْجَبَلِ فَاحْتَمَوْا بِهِ، وَاسْتَنَدَ الرَّسُولُ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى الْجَبَلِ.

وَاتَّجَهَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ عَلَى فَرَسِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُرِيدُ قَتْلَهُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَرْبَةً فَقَذَفَهُ بِهَا، فَوَقَعَتْ بَيْنَ دُرُوعِهِ وَأَصَابَتْهُ فِي رَقَبَتِهِ، فَتَدَحْرَجَ عَدُوُّ اللهِ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ مِنْ فَوْقِ الْفَرَسِ، وَحَمَلَهُ قَوْمُهُ وَهُوَ يَصِيحُ، وَقَوْمُهُ يَعْجَبُونَ؛ لأَنَّ الإِصَابَةَ لَمْ تَكُنْ خَطِيرَةً، وَكَانَ يَقُولُ:

- قَتَلَنِي مُحَمَّدٌ، كَانَ قَالَ لِي بِمَكَّةَ: أَنَا أَقْتُلُكَ، فَوَاللهِ لَوْ بَصَقَ عَلَيَّ لَقَتَلَنِي.

وَمَاتَ عَدُوُّ اللهِ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى مَكَّةَ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

- اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ النَّبِيُّ فِي سَبِيلِ اللهِ.

وَلَمْ يُعْرَفْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَتَلَ بِيَدِهِ أَحَدًا غَيْرَهُ.

وَصَعَدَ الْمُسْلِمُونَ بِرَسُولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَكَانًا آمِنًا بِالْجَبَلِ، وَقَامَ الْمُشْرِكُونَ بِآخِرِ هُجُومٍ عَلَى الرَّسُولِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَعَدَتْ الْجَبَلَ كَتِيبَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَقُودُهَا أَبُو سُفْيَانَ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَتَصَدَّى لَهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَعَدَدٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَرَمَاهُمْ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بِالسِّهَامِ، حَتَّى رَدُّوهُمْ وَأَهْبَطُوهُمْ مِنَ الْجَبَلِ.

وَاسْــتَقَرَّ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ- فِي مَوْضِعٍ آمِنٍ بِالْجَبَلِ، فَقَامَ أَصْحَابُهُ بِغَسْلِ أَثَرِ الدِّمَاءِ مِنْ وَجْهِهِ، وَسَــقَوْهُ، وَصَلَّى رَسُــولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ- قَاعِدًا مِنْ أَثَرِ الْجِرَاحِ، وَصَلَّى الْمُسْلِمُونَ خَلْفَهُ قُعُودًا.

وَلَمَّا اسْــتَعَدَّ جَيْشُ الْمُشْرِكِينَ لِلانْصِرَافِ، أَرَادَ أَبُو سُــفْيَانَ أَنْ يَعْرِفَ حَقِيقَةَ مَا أُشِيعَ عَنْ قَتْلِ رَسُولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَشْرَفَ عَلَى الْجَبَلِ وَنَادَى فِي الْمُسْلِمِينَ:

- أَفِيكُمْ مُحَمَّدٌ؟

فَأَشَارَ النَّبِيُّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى أَصْحَابِهِ أَلاَّ يُجِيبُوهُ!

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ:

- أَفِيكُمْ أَبُو بَكْرٍ؟

فَلَمْ يُجِيبُوهُ.

فَقَالَ: أَفِيكُمْ عُمَرُ؟

فَلَمْ يُجِيبُوهُ.

فَسَخِرَ أَبُو سُفْيَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمْ يَمْلِكْ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقَالَ لَهُ:

- يَا عَدُوَّ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ ذَكَرْتَهُمْ أَحْيَاءُ، وَسَيَنَالُكَ مِنْهُمْ مَا يُؤْذِيكَ.

ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ:

- أُعْلُ هُبَلْ!

فَأَجَابُوه.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ:

- لَنَا الْعُزَّى وَلاَ عُزَّى لَكُمْ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

- قُولُوا لَهُ: اللهُ مَوْلاَنَا وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ!

ثُمَّ نَادَى أَبُو سُفْيَانَ عَلَى عُمَرَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِعُمَرَ :

- اذْهَبْ فَانْظُرْ مَاذَا يُرِيدُ!

فَذَهَبَ إِلَيْهِ.

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ:

- أَنْشُدُكَ اللهَ يَا عُمَرُ، أَقَتَلْنَا مُحَمَّدًا؟

قَالَ عُمَرُ :

- لاَ، وَإِنَّهُ لَيَسْتَمِعُ إِلَى كَلاَمِكَ الآنَ.

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ:

- أَنْتَ أَصْدَقُ عِنْدِي مِنْ ابْنِ قَمِئَةَ وَأَبَرُّ.

وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ لِيُرَاقِبَ خَطَّ سَيْرِ جَيْشِ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ الْمَعْرَكَةِ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِعَلِيٍّ:

- إِنْ كَانُوا رَكِبُوا الإِبِلَ وَسَاقُوا الْخَيْلَ فَهُمْ رَاجِعُونَ إِلَى مَكَّةَ، وَإِنْ رَكِبُوا الْخَيْلَ وَسَاقُوا الإِبِلَ فَهُمْ عَائِدُونَ لِقِتَالِنَا، فَإِنْ فَعَلُوا لأَخْرُجَنَّ إِلَيْهِمْ وَأُقَاتِلَنَّهُمْ.

فَذَهَبَ عَلِيٌّ ، فَرَآهُمْ رَكِبُوا الإِبِلَ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى مَكَّةَ.

وَمَرَّ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابُهُ عَلَى الْقَتْلَى وَالْجَرْحَى فِي مَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ فَوَجَدُوا حَنْظَلَةَ بْنَ أَبِي عَامِرٍ فِي الْقَتْلَى يَتَقَاطَرُ مِنْهُ الْمَاءُ، فَأَخْبَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ الْمَلاَئِكَةَ غَسَّلَتْهُ.

وَكَانَ مَنْظَرُ الشُّهَدَاءِ يُمَزِّقُ الْقَلْبَ حَقًّا، فَقَدْ مَثَّلَ بِهِمْ الْكَافِرُونَ وَشَوَّهُوهُمْ تَشْوِيهًا شَدِيدًا، قَطَعُوا آذَانَهُمْ وَأُنُوفَهُمْ، وَجَرَحُوا وُجُوهَهُمْ جُرُوحًا شَدِيدَةً، وَبَقَرُوا بُطُونَهُمْ وَأَخْرَجُوا أَحْشَاءَهُمْ!

وَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَرَأَى حَمْزَةَ عَمَّهُ، كَانَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ الَّتِي اسْتَأْجَرَتْ وَحْشِيَّ لِقَتْلِهِ، قَدْ شَوَّهَتْهُ وَأَخْرَجَتْ كَبِدَهُ لِتَأْكُلَهُ، فَشَهِقَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ هَوْلِ مَا رَأَى، وَبَكَى عَلَيْهِ وَانْتَحَبَ، حَتَّى ارْتَفَعَ صَوْتُهُ بِالبُكَاءِ.

وَأَمَرَ رَسُـولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِدَفْنِ الشُّهَدَاءِ فِي أَمَاكِنِهِمْ، وَأَلاَّ يُغَسَّلُوا، وَأَنْ يُدْفَنُوا فِي ثِيَابِهِمْ بَعْدَ أَنْ نُزِعَ عَنْهَا الْحَدِيدُ وَالْجُلُودُ، وَكَانَ يُدْفَنُ الاثْنَانِ وَالثَّلاَثَةُ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ.

وَاسْتُشْـهِدَ مِنَ الْمُسْـلِمِينَ سَـبْعُونَ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَرْبَعَةٌ، وَبَاقِي الشُّـهَدَاءِ كَانُوا مِنَ الأَنْصَارِ.

وَأَمَرَ الرَّسُولُ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَصْحَابَهُ أَنْ يَسْتَوُوا خَلْفَهُ صُفُوفًا، وَوَقَفَ يَحْمَدُ اللهَ تَعَالَى، وَيُثْنِي عَلَيْهِ، وَيَذْكُرُ فَضْلَهُ، وَيَشْـكُرُهُ أَنْ هَدَاهُ وَهَدَى مَنْ مَعَهُ إِلَى الإِسْـلاَمِ، وَالْمُسْلِمُونَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى دُعَائِهِ.

وَعَادَ رَسُـولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَفِي الطَّرِيقِ كَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْـلِ الْمَدِينَةِ قَدْ اسْتُشْـهِدَ زَوْجُهَا فِي الْغَـزْوَةِ، وَأَخُوهَا، وَأَبُوهَا، فَأَخْبَرُوهَـا بِقَتْلِهِمْ، فَلَمْ تَهْتَمّ إِلاَّ بِالسُّؤَالِ عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَخْبَرُوهَا أَنَّهُ بِخَيْرٍ، فَقَالَتْ:

- أُرِيدُ أَنْ أَرَاهُ حَتَّى يَطْمَئِنَّ قَلْبِي.

فَلَمَّا رَأَتْهُ حَمِدَتْ اللهَ تَعَالَى أَنْ حَفِظَ رَسُـولَهُ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ-، وَلاَ يُهِمُّ شَيْءٌ عِنْدَهَا غَيْرَ ذَلِكَ.

وَجَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُمُّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، فَعَرَّفَهُ بِهَا ابْنُهَا سَعْدٌ، فَرَحَّبَ بِهَا الرَّسُولُ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَعَزَّاهَا فِي ابْنِهَا عَمْرِو بْنِ مُعَاذٍ ، فَحَمِدَتْ اللهَ أَنْ رَأَتْ رَسُولَ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَالِمًا.

وَدَعَا رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَهَا وَلأَهَالِي الشُّهَدَاءِ بِخَيْرٍ، وَقَالَ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

- يَا أُمَّ سَـعْدٍ، أَبْشِرِي وَبَشِّرِي أَهْلَهُمْ أَنَّ قَتْلاَهُمْ تَرَافَقُوا فِي الْجَنَّةِ جَمِيعًا، وَقَدْ شُـفِّعُوا فِي أَهْلِهِم جَمِيعًا.

فَقَالَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

- رَضِينَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَبْكِي عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ؟

وَبَاتَ الْمُسْـلِمُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَيْلَةَ الأَحَدِ الثَّامِنِ مِنْ شَـوَّالٍ بَعْـدَ الْمَعْرَكَةِ فِي حَالَةِ طَوَارِئَ وَاسْتِعْدَادٍ، وَهُمْ جَرْحَى مُنْهَكُونَ مِنَ التَّعَبِ، يَحْرُسُونَ مَدَاخِلَ الْمَدِينَةِ، وَيَحْرُسُونَ رَسُولَ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَنَادَى رَسُـولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ- فِي أَصْحَابِهِ لِيَخْرُجُوا لِعَدُوِّهِـمْ خَارِجَ الْمَدِينَةِ مَخَافَةَ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ رَسُـولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ- وَمَنْ حَضَرَ مَعَهُ غَزْوَةَ أُحُدٍ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى حَمْرَاءِ الأَسَدِ، وَهُوَ مَكَانٌ يَبْعُدُ عَنِ الْمَدِينَةِ ثَمَانِيَةَ أَمْيَالٍ.

وَنَادَى رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي أَصْحَابِهِ لِيَخْرُجُوا لِعَدُوِّهِمْ خَارِجَ الْمَدِينَةِ مَخَافَةَ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَنْ حَضَرَ مَعَهُ غَزْوَةَ أُحُدٍ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى حَمْرَاءِ الأَسَدِ، وَهُوَ مَكَانٌ يَبْعُدُ عَنِ الْمَدِينَةِ ثَمَانِيَةَ أَمْيَالٍ.

وَكَانَ مَا رَآهُ الرَّسُولُ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَقًّا، فَقَدْ قَرَّرَ جَيْشُ مَكَّةَ الْعَوْدَةَ لِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ مُسْتَغِلِّينَ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ هَزِيمَةٍ، لَكِنَّ اللهَ تَعَالَى قَذَفَ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ فَلَمْ يَخْرُجُوا، بَيْنَمَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِقِتَالِهِمْ، وَأَقَامَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ عَادُوا إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَلَمْ يَكُنْ لِلْمُشْرِكِينَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ نَصْرٌ حَقِيقِيٌّ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ قَتْلَى الْمُسْلِمِينَ السَّبْعِينَ؛ لأَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمْ يَأْخُذُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَسْرَى، وَلَمْ يَحْصُلُوا عَلَى غَنَائِمَ.

وَاسْتَطَاعَ الْمُسْلِمُونَ رَغْمَ الارْتِبَاكِ الشَّدِيدِ وَكَثْرَةِ قَتْلَاهُمْ أَنْ يُقَاوِمُوا بِشَجَاعَةٍ، وَيَتَجَمَّعُوا حَوْلَ رَسُولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي مَقَرِّ قِيَادَتِهِ، بَلْ لَمْ تَسْقُطْ رَايَتُهُمْ، وَلَمْ يَتَمَكَّنْ جَيْشُ مَكَّةَ مِنْ مُهَاجَمَةِ الْمَدِينَةِ، وَلَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنْ قَتْلِ رَسُولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَأَهَمُّ مَا فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ أَنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يُعَلِّمَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَيُعَلِّمَنَا دُرُوسًا مُهِمَّةً، مِنْهَا لُزُومُ طَاعَةِ الرَّسُولِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعَدَمِ مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ.

وَمَا جَرَى لِلْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ، إِلاَّ بِسَبَبِ مُخَالَفَةِ أَغْلَبِ الرُّمَاةِ لِأَمْرِ الرَّسُولِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- طَمَعًا فِي الْغَنَائِمِ، فَكَانُوا سَبَبًا مُبَاشِرًا فِي قَتْلِ إِخْوَانِهِمُ الْعَشَرَةِ الَّذِينَ نَفَّذُوا أَمْرَ النَّبِيِّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَمْ يَتْرُكُوا أَمَاكِنَهُمْ حَتَّى قُتِلُوا وَهُمْ يُدَافِعُونَ عَنْ أَمَاكِنِهِمْ.

وَكَانَتْ مُخَالَفَةُ الرُّمَاةِ سَبَبًا فِي ضَيَاعِ نَصْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَانْقِلَابِ الْوَضْعِ إِلَى هَزِيمَةٍ، قُتِلَ فِيهَا سَبْعُونَ مِنْ خِيرَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَكَادَ يُقْتَلُ رَسُولُ اللهِ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لَوْلاَ حِفْظِ اللهِ تَعَالَى لَهُ، وَاسْتِمَاتَةِ الصَّحَابَةِ فِي الدِّفَاعِ عَنْهُ.

كَمَا بَيَّنَتْ هَذِهِ الْغَزْوَةُ قِيمَةَ جِيلِ الصَّحَابَةِ وَمَدَى حُبِّهِمْ لِلنَّبِيِّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَفِدَائِهِمْ لَهُ بِرُوحِهِمْ وَدِمَائِهِمْ، فَهُوَ أَغْلَى عِنْدَهُمْ مِنْ أَهْلِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ، وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ.

كَمَا كَانَتْ هَذِهِ الْمِحْنَةُ مُهِمَّةً فِي إِظْهَارِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا مُخْتَفِينَ بَيْنَ صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَــدْ عُرِفُوا مِنْ وَقْتِهَا وَعَلَى رَأْسِــهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنِ سَــلُولٍ الَّذِي رَفَــضَ وَمَنْ مَعَهُ الْقِتَالَ وَانْسَحَبُوا مِنْ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَحْرَجِ أَوْقَاتِ الْمَعْرَكَةِ.

وَمَا وَقَعَ لِلْمُسْــلِمِينَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ مِنْ قَتْلٍ وَتَشْــوِيهٍ لَمْ يَكُنْ إِلاَّ لِحُبِّ اللهِ تَعَالَى لأَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ-، فَرُزِقَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ الشَّــهَادَةَ، لِيُكَافِئَهُمْ، وَيُسْكِنَهُمْ فِي أَعْلَى مَنَازِلِ الْجَنَّةِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِلْشُّــهَدَاءِ، فَقَدْ أَحَبُّوا اللهَ حُبًّا صَادِقًا وَمَاتُوا فِي سَــبِيلِهِ، فَكَانَ جَزَاءُ اللهِ لَهُمُ الْجَنَّةَ، وَلَيْسَ أَغْلَى مِنْ رِضَا اللهِ تَعَالَى وَجَنَّتِهِ.